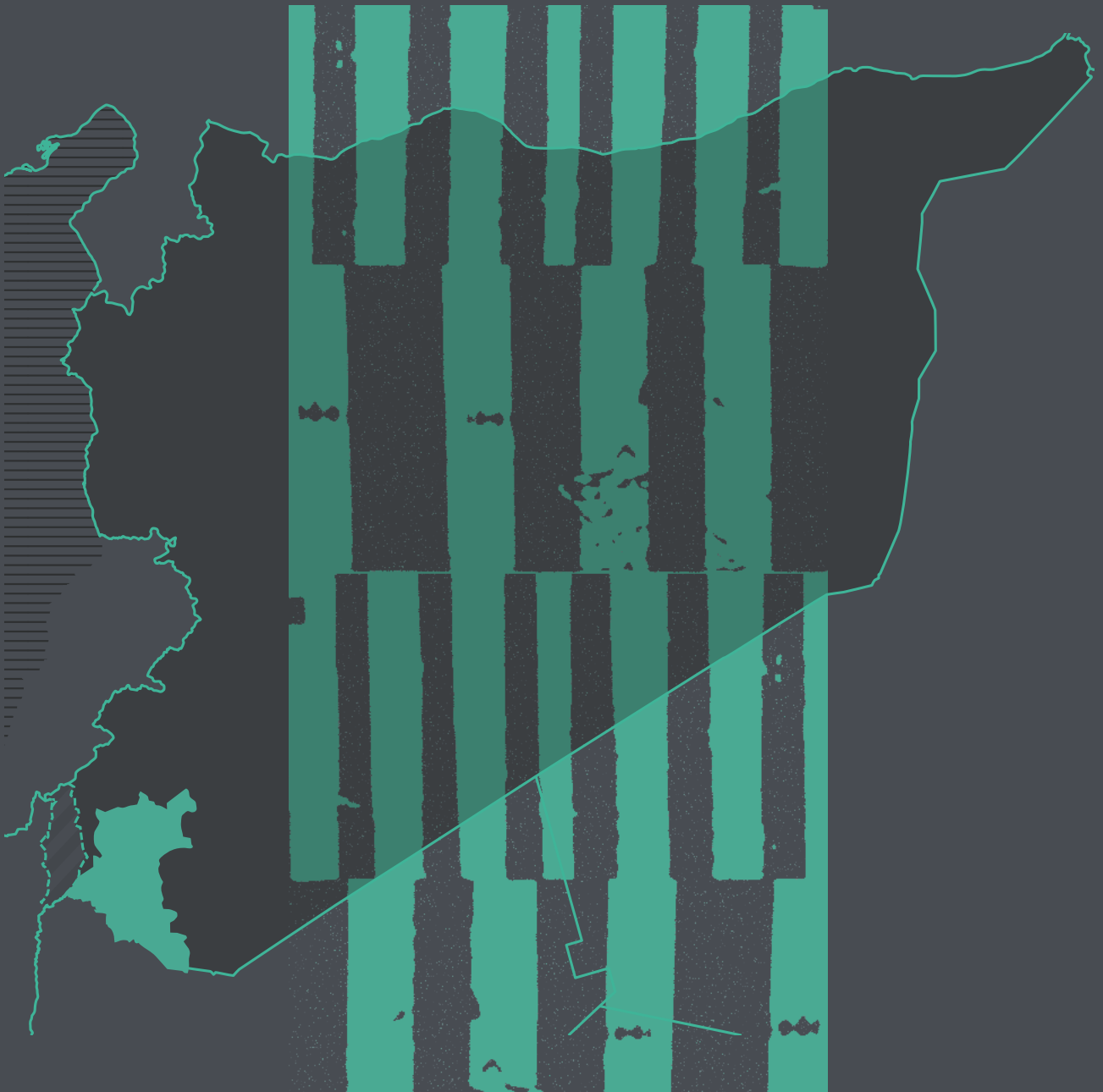


# من القاعدة إلى القمة: مجتمعات محلية تكافح أزمة المخدرات في الجنوب السوري

تأليف: حايدهايد





## قائمة المحتويات

|   |   |
|---|---|
| 2 | ملخص  |
| 2 | المقدمة   |
| 3 | <b>الجهود اللاعنفية</b>                                 |
| 3 | ..... تسوية أوضاع تجار المخدرات والمروّجين لها          |
| 4 | ..... دعم التعافي والتخلص من المخدرات المضبوطة          |
| 4 | ..... قطع الدعم الاجتماعي                               |
| 5 | <b>التدابير الأمنية</b>                                 |
| 5 | ..... الدوريات المجتمعية                                |
| 5 | ..... الحملات الأمنية                                   |
| 5 | ..... الاغتيالات  |
| 6 | <b>التحديات والقيود</b>                                 |
| 6 | ..... نطاق وتأثير محدودان                               |
| 6 | ..... التدابير الخارجة عن نطاق القانون والغموض القانوني |
| 7 | ..... الفشل في معالجة الدوافع البنيوية لتعاطي المخدرات  |
| 7 | ..... خدمات إعادة تأهيل غير كافية                       |
| 8 | <b>توصيات سياساتية</b>                                  |
| 8 | ..... إنشاء أطر قانونية                                 |
| 8 | ..... تعزيز مبادرات التنمية الاقتصادية                  |
| 8 | ..... تحسين خدمات الصحة النفسية                         |
| 8 | ..... تعزيز جهود إعادة التأهيل                          |
| 8 | ..... تحسين تعزيز الثقيف والوعي المجتمعيين              |

## ملخص

## المقدمة

منذ أن استعاد السيطرة على الجنوب السوري عام 2018، أشرف نظام الأسد على زيادة ملحوظة في إنتاج المخدرات والاتجار بها، محولاً مشكلة محلية إلى عملية عالمية. واليوم، تُعد سوريا أكبر منتج للكبتاغون في العالم، وهو أفيثامين غير مشروع، حيث تلعب محافظات مثل درعا والسويداء دور مراكز تهريب رئيسية<sup>1</sup>، وفي حين أن تجارة المخدرات مدفوعة بأسواق خارجية مربحة، إلا أن أثرها المحلي مدقّر. باتت المخدرات الآن مُنتشرة على نطاق واسع، وغالباً ما تكون أرخص من الأدوية المتاحة من دون وصفة طبية، مما أدى إلى ارتفاع حاد في اضطراب استخدام المخدرات بين كافة الفئات السكانية. ومن الأمور المثيرة للقلق، بشكل خاص، تسويق المخدرات الذي يستهدف المراهقات/ين، ما حوّل المدارس - التي كانت مساحات آمنة سابقاً - إلى نقاط توزيع. أدى الارتفاع الملحوظ في اضطراب استخدام المخدرات إلى ازدياد حاد في الجرائم مثل السرقة والخطف والعنف الأسري، مما زعزع استقرار المنطقة بشكل أكبر<sup>2</sup> كما وقد زاد الاتجار بالمخدرات التهديدات الأمنية الخارجية، مع اعتماد الأردن موقفاً متشدداً ضد التهريب وإطلاقها ضربات جوية داخل سوريا.

على الرغم من الأزمة المتفاقمة، لا تُبدي القوى الأمنية التابعة للنظام السوري اهتماماً فعلياً في كبح تجارة المخدرات، ويُعزى ذلك بشكل أساسي إلى ضلوع النظام المباشر في تسهيل هذه التجارة، وذلك لتحقيق مكاسب اقتصادية وسياسية. يُزعم بأن هذا التدخل مكّن شبكات المخدرات بالعمل من دون حسيب أو رقيب، بل وبحمية كيانات تابعة للنظام مثل الأمن العسكري، والمخابرات الجوية، وميليشيات مدعومة من إيران. غالباً ما تكون عمليات التوقيف، عندما تحصل، سطحية، إذ سرعان ما يتم إطلاق سراح المُتاجرين عن طريق رشوا أو تدخل السلطات العليا<sup>3</sup>، ومع تفويض تقاعس النظام الثقة في مؤسسات الدولة، أخذت المجتمعات المحلية الأمور على عاتقها<sup>4</sup>، ففي مختلف أنحاء درعا والسويداء، برزت جهود أهلية لمكافحة تجارة المخدرات، تجمع بين مبادرات لاعنفية وتدابير أمنية. ومن بين الاستراتيجيات، تسوية أوضاع تجار المخدرات، وقطع الدعم الاجتماعي عنهم، ودعم التعافي من اضطراب استخدام المخدرات، وتلف المخدرات المضبوطة. عززت المجتمعات المحلية أيضاً الإجراءات الأمنية عبر تسيير دوريات، وإطلاق حملات أمنية، وفي بعض الحالات، عبر اتخاذ إجراءات خارجة عن نطاق القانون.

يتناول موجز السياسات هذا الجهود التي تبذلها المجتمعات المحلية لمكافحة تجارة المخدرات في الجنوب السوري، والتي لم توفى حقها من التقارير، كما ويوضح هذا الموجز الاستراتيجيات والإجراءات المتخذة من قِبل السكّان لمواجهة الاتجار والحدّ من استهلاك المخدرات، مسلطاً الضوء على التحديات التي تواجهها هذه المبادرات. ويقدم هذا الموجز توصيات لتعزيز ودعم الجهود المحلية لكبح الإتيار بالمخدرات والحدّ من المخاطر المرتبطة به.

تصاعدت حدة الاستياء العام حيال تفشّي المخدرات دون رقابة في الجنوب السوري بشكل كبير، مدفوعة بفشل النظام في اتخاذ إجراءات حاسمة. وعلى الرغم من التطمينات المتكررة، أعطى النظام الأولوية لتسهيل تجارة المخدرات من أجل تعزيز مصالحه السياسية والمالية، بدلاً من بذل جهود حقيقية لمكافحتها. ونتيجة لذلك، أصبحت درعا والسويداء مركزين رئيسيين لإنتاج المخدرات، ما أدى إلى انتشار اضطراب استخدام المخدرات على نطاق واسع وإلى ارتفاع في العنف المرتبط بها.

من دون بدائل قابلة للتطبيق، أخذت المجتمعات المحلية الأمور على عاتقها. نشأت مبادرات أهلية تجمع بين جهود أمنية ومقاربات لاعنفية لمواجهة شبكات المخدرات. ضمّت هذه الجهود قطع الدعم الاجتماعي عن التجار، دعم التعافي من اضطراب استخدام المخدرات، وإتلاف المخدرات المصادرة. ولقد عززت المجتمعات المحلية أيضاً أمنها عبر تسيير دوريات، وإطلاق حملات لمكافحة المخدرات، وفي بعض الحالات، اللجوء إلى إجراءات خارجة عن نطاق القانون لعرقلة الإتيار بها.

في حين حققت هذه المبادرات المحلية بعض النجاحات، إلا أنها لا تزال تواجه تحديات جسيمة بسبب محدودية الموارد والخبرات والتنسيق، والتي تحدّ من تأثيرها العام. يطرح استخدام تدابير خارجة عن نطاق القانون قضايا أخلاقية وقانونية خطيرة، من دون معالجة الدوافع الاقتصادية والاجتماعية الجذرية لاضطراب استخدام المخدرات، تستمر الأزمة.

تطلب الحل الدائم استراتيجياً شاملاً - استراتيجياً لا تعالج الأعراض فحسب، بل الأسباب الجذرية للاتجار بالمخدرات واستخدامها. فتدعيم الأطر القانونية، وتعزيز النمو الاقتصادي، وتوسيع نطاق خدمات الصحة النفسية، وتحسين برامج إعادة التأهيل، وتعزيز التثقيف المجتمعي، كلّها أمور مهمة جداً لتغيير طويل الأمد واستقرار إقليمي.

1 الحكومة البريطانية، «التصدي إلى تجارة المخدرات غير المشروعة التي تغذي آلة الحرب التي يستخدمها الأسد»، 28 آذار/ مارس 2023، <https://www.gov.uk/government/news/tackling-the-illicit-drug-trade-fuelling-assads-war-machine>.

2 حايه حايه، «السكان المحليون يخوضون حريهم الخاصة ضد المخدرات في محافظة درعا السورية»، معهد الشرق الأوسط، 9 كانون الثاني/ يناير 2024، <https://www.mei.edu/publications/locals-fight-their-own-war-drugs-syria-daraa-province>.

3 مقابلة بحثية مع محلل سوري، السويداء، أيلول/ سبتمبر 2024.

4 المرجع نفسه.

## الجهود اللاعنفية

من أجل التصدي للإتجار بالمخدرات وسوء استخدامها في الجنوب السوري، لجأت المجتمعات المحلية إلى استراتيجيات لاعنفية متنوعة. تعكس مبادرات مثل تسوية أوضاع تجار المخدرات، وقطع الدعم الاجتماعي عنهم، ودعم التعافي، وإتلاف المخدرات المضبوطة، مقاربة برغماتية متعدّدة الأوجه لمعالجة المشكلة قبل اللجوء إلى تدابير أكثر عدوانية.

تتمحور هذه الدراسة حول 13 مقابلة شُبه مهيكلة مع محلّين سوريين. وسكان، وعاملات وعاملين في المجتمع المدني، وقادة مجتمعيين من الجنوب السوري، أجراها المؤلف بين آب/أغسطس وتشرين الأول/أكتوبر 2024. وقد تمّ التأكيد لمن أجريت المقابلات معهن/م على مسألة إخفاء الهوية لتشجيع الإجابات الصريحة والحدّ من المخاطر.

### تسوية أوضاع تجار المخدرات والمرّوجين لها

في درعا، نفّذ قادة مجتمعيون مبادرات هدفت إلى إعادة دمج أولئك المعنّيين بتجارة المخدرات، مقدّمين مسارات للخلاص بدلاً من العقاب.<sup>5</sup> تسعى هذه الجهود إلى كسر حلقة الأنشطة المرتبطة بالمخدرات عبر تعزيز مساءلة داعمة ولكن حازمة، ما يشجّع على التغيير مع الحفاظ على المعايير المجتمعية.

ومن بين الأمثلة الجديرة بالذكر، مبادرة تسوية الأوضاع التي امتدّت على سبعة أيّام، وأطلقت في تموز/ يوليو 2024. دعا قادة مجتمعيون تجار مخدرات، ومرّوجين لها، وآخرين متورّطين في تجارة المخدرات، إلى تسليم أنفسهم طوعاً. وطلب من المشاركين تسليم أنفسهم إلى القوى المحلية، بضمانات من عشائريهم، والتوقيع على تعهد بوقف جميع الأنشطة المرتبطة بالمخدرات. في المقابل، تم شطب أسمائهم من لائحة المطلوبين، ما يسمح بإعادة اندماجهم في المجتمع. ولكن، كان هذا الاتفاق صارماً: فأي انتهاك له يؤدي إلى عقوبات شديدة، ما يُظهر عزماً واضحاً على الحفاظ على النظام والسلامة.<sup>6</sup>

لم ترد تقارير عن أي مبادرات مننظمة مماثلة في السويداء. ولكن، تبنى القادة الدينيون هناك مقاربة مختلفة، وذلك عبر إصدار أحكام تمنع الآخرين من الارتباط بأشخاص متورّطين في تجارة المخدرات حتى يعترفوا ويصلحوا أنفسهم. على سبيل المثال، في آذار/ مارس 2024، أعلن زعماء اجتماعيون ودينيون في شهباء مقاطعة أي شخص متورّط في الإتجار بالمخدرات، ما يحول دون تلقّي هؤلاء الأشخاص دعماً مجتمعياً خلال مناسبات مهمة في الحياة مثل حفلات الزفاف والجنائزات. في حين أنّ هذه الأحكام عقابية، إلا أنها تقدّم سبيلاً للعودة للمجرمين الذين يعترفون بأفعالهم ويظهرون التزاماً بالإصلاح.<sup>7</sup>

توضّح هذه الأمثلة المقاربات المختلفة في درعا والسويداء، وتظهر كيف تُهدف الاستراتيجيات التي تقودها المجتمعات المحلية - سواء عبر مبادرات رسمية أو أعراف تقليدية - إلى مواجهة تحديات الإتجار بالمخدرات. وفي كلتا الحالتين، يبقى التركيز على تعزيز مجتمع محلي أكثر أماناً وتماسكاً، مع مسار واضح لأولئك المستعدين للتغيير.

### دعم التعافي والتخلص من المخدرات المضبوطة

ركّزت الجهود في درعا أيضاً على دعم التعافي للأفراد الساعين إلى التغلّب على اضطراب استخدام المخدرات، ما يعكس وعياً

5 سلام عبدالله، «مهلة أخيرة لتجار المخدرات»، تجمع أحرار حوران، 19 أيار/ مايو 2023، <https://www.horanfree.com/archives/13627>

6 صفحة فريق درعا الإعلامي على فيسبوك [بالعربية]، 10 تموز/ يوليو 2024، <https://shorturl.at/8Uj3Q>

7 صفحة السويداء 24 على فيسبوك [بالعربية]، 25 آذار/ مارس 2024، <https://shorturl.at/ukQTQ>

## قطع الدعم الاجتماعي

عندما لا تكفي هذه التدابير اللاعنفية، غالباً ما يلجأ الفاعلون المجتمعيون إلى تكتيكات أكثر حزمًا، على الرغم من وجوب التعامل معها بحذر. في المجتمعات المترابطة في جنوب سوريا، فإن التضامن القوي يعني أن الهجوم على أحد أفرادها يمكن اعتباره هجوماً على المجتمع المحلي بأسره، ما يؤدي في غالبية الأحيان إلى حصول تجار المخدرات على حماية قبائلهم<sup>15</sup> ولتجنب ردود الفعل العنيفة، تبدأ الجهود عادةً بعزل الأفراد عن شبكاتهم الاجتماعية، وكسب تأييد القبائل، والزعماء، والشخصيات الدينية لسحب الغطاء عن التجار المعروفين.

في السويداء، حيث للقيم الدينية تأثير كبير، غالباً ما يشارك قادة دينيون محليون ووجهاء من المجتمع المدني في جهود رفع الغطاء الاجتماعي عن تجار المخدرات. على سبيل المثال، في كانون الثاني/يناير 2024، عقدت حركة رجال الكرامة اجتماعاً في زيبين مع شخصيات دينية محلية ومشايخ وزعماء. خلال هذا التجمع، سمح المشاركون للحركة بالقيام بحملة ضد أولئك المتهمين بأنشطة مرتبطة بالمخدرات. رفع هذا التفويض فعلياً الغطاء الاجتماعي عن أولئك المتورطين في أنشطة غير مشروعة، مما يشير إلى وجود موقف موحد ضد تجارة المخدرات<sup>16</sup>.

في درعا، حيث لا تزال الروابط القبلية قوية، تتضمن جهود مكافحة المخدرات عادةً مشاورات مع زعماء القبائل ووجهاء محليين. على سبيل المثال، في أيلول/سبتمبر 2024، ضم اجتماع في سحم الجولان شخصيات دينية محلية وقادة اللجنة المركزية، لرفع الغطاء القبلي عن تجار مخدرات قبل شن حملة ضدهم. تخللت الفعالية كلمات ألقاها قادة مجتمعيين عن مخاطر استخدام المخدرات والحاجة إلى تدابير صارمة. تعهد ممثلون عن فرى مختلفة بدعم جهود مكافحة المخدرات، ووعدوا بعدم حماية أي شخص متورط في أنشطة مرتبطة بالمخدرات<sup>17</sup>.

تعكس هذه المبادرات اللاعنفية التزام المجتمعات المحلية ببناء أحياء أكثر أماناً، ولكن، مع اتساع محدودية الجهود اللاعنفية الرامية إلى كبح تجارة المخدرات، تنم المجتمعات المحلية بشكل متزايد، هذه الجهود بتدابير أمنية أكثر صرامة لتعطيل شبكات المخدرات في مناطقها.

متزايداً بالحاجة إلى مقارنة شاملة، وتشير المصادر إلى أن اللجان المركزية<sup>8</sup> في بعض المناطق قد أنشأت مراكز مخصصة، يمكن للأفراد الذين يعانون من اضطراب استخدام المخدرات البقاء فيها لشهر كحد أقصى، والمشاركة في أنشطة، مثل العمل في الحقول وممارسة الرياضة، للمساعدة على التخلص من السموم<sup>9</sup>. مع ذلك، تبقى تفاصيل العلاج غير واضحة.

لقد ساهم اللواء الثامن أيضاً، وهي مجموعة من المفتاحين السابقين في صفوف المعارضة، والتي تعمل بشكل شبه مستقل تحت المظلة الاسمية للمخابرات العسكرية التابعة للنظام، في إطار هذه الجهود، عمل اللواء إلى جانب مسعفين محليين على إنشاء أنظمة دعم للتعافي<sup>10</sup>. وعلى الرغم من أن التفاصيل المحددة حول العلاج تبقى نادرة، يبدو أن إحدى المقاربات الشائعة تنطوي على إعطاء أدوية تشبه المسكنات لتخفيف أعراض انسحاب المخدرات<sup>11</sup>. في المقابل، لم يتم توثيق أي مبادرات مماثلة في السويداء، بحسب البيانات مفتوحة المصدر المتوفرة. وقد يُنسب هذا الغياب إلى عدة عوامل، من بينها وجود موارد أقل، وانتشار أقل لاضطراب استخدام المخدرات مقارنة بدرعا، أو تفضيل إبقاء مثل هذه الأنشطة سرية<sup>12</sup>.

بعيداً عن إعادة التأهيل، تولت المجتمعات المحلية مهمة إتلاف المخدرات المصادرة، مدفوعة بعدم الثقة بالسلطات. حرص السكان على إتلاف المخدرات المضبوطة علناً، ما منع دخولها مجدداً إلى السوق السوداء، وتنظم التحركات المجتمعية في درعا والسويداء فعاليات عامة بانتظام لحرق المخدرات المضبوطة أو التخلص منها.

على سبيل المثال، في شباط/فبراير 2024، أُلقت علناً حركة رجال الكرامة، وهي مجموعة مسلحة محلية تعمل بشكل مستقل عن قوات النظام، نحو 200.000 حبة كينتاغون في السويداء<sup>13</sup> ونُظمت فعالية مشابهة في سد درعا في تموز/يوليو 2024، شارك فيها طيف واسع من ممثلي المجتمع المحلي<sup>14</sup>. لا تُظهر هذه الفعاليات العمل الجماعي ضد تجارة المخدرات وحسب، بل تهدف أيضاً إلى ضمان شفافية كاملة في عملية التخلص من المخدرات المضبوطة.

تذهب فعاليات الإتلاف العامة هذه، والتي يحضرها عادةً وجهاء محليون، إلى أبعد من مجرد التخلص من المخدرات: حيث تمثل لفتات رمزية قوية، فعبّر توحيد السكان من خلال هذه الأفعال، تعيد المجتمعات المحلية تأكيد التزامها بمواجهة الإبتجار بالمخدرات بشكل مباشر، وبحماية نسيجها الاجتماعي من آثاره الضارة.

8 اللجان المركزية في درعا هي كيانات محلية تتألف من قادة سابقين في المعارضة ووجهاء محليين، تؤدي دوراً رئيسياً في معالجة الهوموم المحلية، مثل الأمن والخدمات، كما حلّ الصراعات والنزاعات.

9 مقابلة بحثية مع محلل سوري، درعا، أيلول/سبتمبر 2024.

10 وليد النوفل، «المجتمع المحلي يكافح تجارة المخدرات جنوب سوريا»، سوريا على طول، 27 آذار/مارس 2024، <https://shorturl.at/d0wsB>.

11 مقابلة بحثية مع عامل في المجتمع المدني السوري، درعا، تشرين الأول/أكتوبر 2024.

12 مقابلة بحثية مع محلل سوري، السويداء، أيلول/سبتمبر 2024.

13 عمر يوسف، «هل تنجح المبادرات الأهلية في محاصرة تهريب المخدرات بين سوريا والأردن؟»، الجزيرة، 21 شباط/فبراير 2024، <https://shorturl.at/EvScc>.

14 صفحة فريق درعا الإعلامي على فيسبوك [بالعربية]، 6 تموز/يوليو 2024، <https://shorturl.at/hwxllf>.

15 مقابلة بحثية مع قائد مجتمعي سوري، السويداء، أيلول/سبتمبر 2024.

16 تلفزيون سوريا، «هل بدأت «حركة رجال الكرامة» بملاحقة مهربي المخدرات في السويداء؟»، 26 كانون الثاني/يناير 2024، <https://shorturl.at/q67KI>.

17 درعا 24، «المخدرات في الجنوب السوري: غياب الحلول وتفاقم التحديات»، 19 أيلول/سبتمبر 2024، <https://shorturl.at/LXbKb>.

مقاتلون سابقون دوريات وأنظمة رقابة لرصد أنشطة مشبوهة قد تشير إلى عمليات مرتبطة بالمخدرات.<sup>23</sup>

### العمليات الأمنية

على عكس الدوريات المدنية، تتضمن هذه الحملات إجراءات مباشرة مثل جمع المعلومات الاستخباراتية، والمداهمات، وعمليات التوقيف لتعطيل شبكات المخدرات. تنسق المجموعات المسلحة المحلية مع القادة المجتمعيين والشخصيات الدينية، وذلك لضمان دعم واسع والحد من ردود الفعل العنيفة.

في درعا، تلعب اللجان المركزية دوراً محورياً في جهود مكافحة المخدرات. فبالإضافة إلى مجموعات مسلحة محلية، نظمت هذه اللجان حملات أمنية، مثل المداهمة التي جرت في كانون الثاني/يناير 2024 بالقرب من داعل واستهدفت شبكة مخدرات معروفة، مؤدية إلى عمليات توقيف ومقتل شخص.<sup>24</sup> في حالة أخرى، في أيلول/سبتمبر 2024، نسقت اللجان مداهمة لخيم بالقرب من إبطع، ما أدى إلى اعتقال وتفكيك عمليات مخدرات مشتبها بها.<sup>25</sup>

كما وأجرت اللوات الثامن عمليات لمكافحة المخدرات بشكل مستقل. مثلاً، في حزيران/يونيو 2024، شنّت عملية في الجزيرة، ما أدى إلى توقيف قائد مجموعة منهم بالإتجار.<sup>26</sup>

وفي السويداء، قادت حركة رجال الكرامة حملات مماثلة. في كانون الثاني/يناير 2024، أطلقت حملة أمنية في ذيبين بعد تأمين الدعم المحلي. نشرت خلالها رتلًا مسلحاً لإجراء مداهمات واعتقالات.<sup>27</sup>

لم تقتصر بعض حملات مكافحة المخدرات هذه على استهداف أفراد فحسب، إذ استهدفت المواقع المستخدمة لإنتاج مخدرات أو تنسيق تجارتها. ففي كانون الأول/ديسمبر 2022، استهدفت المجموعة موقعاً تابعاً لميليشيات مدعومة من إيران بالقرب من بلدة زيزون بثلاث فذائف صاروخية. يُزعم أن الموقع كان يُستخدم لتصنيع المخدرات والتنسيق بشأنها.<sup>28</sup> وفي الفترة نفسها تقريباً، هاجمت مجموعة مسلحة محطة تكرير بالقرب من خربة السحم غربي درعا بمتفجرات، مستهدفة إياها لكونها نقطة انطلاقاً لتفجير مخدرات إلى الأراضي الأردنية.<sup>29</sup>

### الاعتقالات

برزت عمليات القتل المستهدف كتنكيك بارز، وإن كان مثيراً للجدل، في مكافحة تجارة المخدرات في الجنوب السوري، وبالتحديد في درعا. تحظى هذه الإجراءات باهتمام المجموعات المحلية بسبب فعاليتها النسبية، وكلفتها المتدنية، والحد الأدنى من خطر الانتقام. يسهل وصول العديد من السكان

## التدابير الأمنية

لقد دفع تصاعد تجارة المخدرات في الجنوب السوري المجتمعات المحلية، على الرغم من المبادرات اللاعنافية، إلى تنفيذ مجموعة من التدابير الأمنية لتعطيل شبكات المخدرات. تتجاوز هذه الجهود إنفاذ القانون التقليدي، وهي تتضمن حملات منظمة وحتى إجراءات خارجة عن نطاق القانون، تعكس التصميم على مكافحة مشكلة المخدرات المتفشية وحماية الأحياء، حتى في ظل المخاطر الكبيرة.

### الدوريات المجتمعية

لكبح تهريب المخدرات، وبشكل خاص بالقرب من الحدود الأردنية، أقامت المجتمعات دوريات محلية لرصد الأنشطة غير المشروعة واعتراضها. غالباً ما تشمل هذه الدوريات متطوعين، وهي ترصد بشكل فاعل مناطقها لتعقب حركة الأشخاص والسلع، ولاسيما في مناطق معروفة بمسارات التهريب. في حين قد تمثل هذه الدوريات رادعاً، إلا أنها تؤدي أحياناً إلى اشتباكات مع مهربي المخدرات.

في السويداء، اكتسبت هذه الجهود زخماً بعد أن استهدفت سلسلة من الغارات الجوية الأردنية مواقع تهريب مشتبها بها داخل سوريا عام 2023.<sup>18</sup> سلّطت الغارات الضوء على مخاطر الإتجار بالمخدرات، ما دفع السكان إلى تسير دوريات تتألف بشكل رئيسي من شباب، لضمان أمن المسارات شائعة الاستخدام وزرع المهزيين. وفي بلدات مثل ذيبين، وملح، وخربة عواد، شكّل السكان مجموعات مخصصة لرصد الطرقات، وأصدروا تحذيرات شديدة للهجرة لأولئك المتورطين في أنشطة غير مشروعة.<sup>19</sup> تُقدت هذه المبادرات بدعم من قادة مجتمعيين محليين، وشخصيات دينية، وفصائل مسلحة.

في بعض الحالات، اعتترضت هذه الجهود المجتمعية شحنات مخدرات، بعد الاشتباك مع المهزيين.<sup>20</sup> مثلاً، في آذار/مارس 2024، ألقت دورية، في ميماس في السويداء، القبض على شخصين يستقلان دراجة نارية وبحوزتهما 30.000 حبة كبتاغون وحشيش. يُعتقد أنّ الشحنة كانت في طريقها إلى ريف درعا تمهيداً لتفجيرها إلى الأردن.<sup>21</sup>

برزت مبادرات مماثلة في درعا، حيث أقامت المجتمعات المحلية دوريات ونقاط تفتيش متنقلة لرصد المسارات المعروفة بالتهريب. هدفت هذه الدوريات أيضاً، والتي أغلب من يقودها مقاتلون سابقون من المعارضة، وقادة مجتمعيون، وسكان قلقون، إلى عرقلة تدفق المخدرات ومنع المتجرين من استخدام أحيائهم كنقاط عبور.<sup>22</sup> على سبيل المثال، في أنخل، استحدث

23 وليد النوفل، «المجتمع المحلي يكافح تجارة المخدرات جنوب سوريا»، سوريا على طول، 27 آذار/مارس 2024، <https://shorturl.at/d0wsB>.

24 زمان الوصل، «للمرة الثانية.. استهداف مقر لتصنيع المخدرات يتبع للميليشيات الإيرانية غربي درعا»، 6 شباط/فبراير 2024، <https://www.zamanalwsl.net/news/article/151620/>.

25 صفحة العربية سوريا على فيسبوك [بالعربية]، 5 أيلول/سبتمبر 2024، <https://rb.gy/p4mwrw>.

26 راديو الكل، «اشتباكات بين اللوات الثامن ومجموعة محلية في الجزيرة شرقي درعا»، 24 حزيران/يونيو 2024، <https://rb.gy/2q14i3>.

27 تلفزيون سوريا، «هل بدأت «حركة رجال الكرامة» بملحقة مهربي المخدرات في السويداء؟»، 26 كانون الثاني/يناير 2024، <https://shorturl.at/q6ZKL>.

28 شريف عبد الرحمن، «استهداف مقر يستخدم لإنتاج المخدرات غربي درعا»، تجمع أحرار حوران، 3 شباط/فبراير 2023، <https://www.horanfree.com/ar-chives/13348>.

29 زمان الوصل، «للمرة الثانية.. استهداف مقر لتصنيع المخدرات يتبع للميليشيات الإيرانية غربي درعا»، 6 شباط/فبراير 2024، <https://www.zamanalwsl.net/news/article/151620/>.

18 السويداء 24، «السويداء: حراك أهلي في القرى الحدودية ضد التهريب»، 30 كانون الثاني/يناير 2024، <https://suwayda24.com/?p=22260>.

19 وليد النوفل، «المجتمع المحلي يكافح تجارة المخدرات جنوب سوريا»، سوريا على طول، 27 آذار/مارس 2024، <https://shorturl.at/d0wsB>.

20 عمر يوسف، «هل تنجح المبادرات الأهلية في محاصرة تهريب المخدرات بين سوريا والأردن؟»، الجزيرة، 21 شباط/فبراير 2024، <https://shorturl.at/d0wsB>.

21 السويداء 24، «إحباط تهريب 30 ألف حبة كبتاغون»، 3 آذار/مارس 2024، <https://rb.gy/k7cst8>.

22 مقابلة بحثية مع قائد مجتمعي، درعا، أيلول/سبتمبر 2024.

## التحديات والقيود

على الرغم من عزمها ونجاحاتها المحليّة، تواجه المبادرات المجتمعيّة في الجنوب السوري تحديات جسيمة تقلل من فعاليتها في مكافحة الإتجار بالمخدرات واضطراب استخدامها. وعلى الرغم من أنّ هذه الجهود حيويّة للحفاظ على بعض السيطرة المحليّة، إلا أنّها مقيّدة بسبب نقص الموارد، والأطر القانونيّة، وخدمات الدعم الشاملة. علاوة على ذلك، يثير الاعتماد على تدابير خارجة عن نطاق القانون مخاوف أخلاقيّة، كما أنّ الفشل في معالجة الدوافع الاقتصاديّة والنفسية الأساسيّة لاستخدام المخدرات يترك الأسباب الجذريّة دون معالجة إلى حدّ كبير.

### نطاق وتأثير محدودان

لقد كانت هذه المبادرات مرتجلة ومحدودة إلى حدّ كبير، حيث ركّزت بشكل أساسي على تجار المخدرات ضلبي الأهميّة، في حين يمكن أن يعطل إلقاء القبض على المتجرّين، أو نقل التجار إلى مكان آخر، أنشطة المخدرات بصورة مؤقتة، إلا أنّه نادراً ما تؤدي هذه الإجراءات إلى تفكيك الشبكات المنظّمة الأكبر حجماً، والتي تتحكّم بها عصابات تهريب نافذة، تابعة لفاعلين مثل النظام السوري وميليشيات مدعومة من إيران. غالباً ما يعمل تجار المخدرات البارزون تحت حماية النظام، ما يصعب على المجموعات المحليّة اتخاذ إجراءات فعّالة.<sup>39</sup> وبالتالي، تعالج الجهود التي تبذلها المجتمعات الأعراس فقط - إذ تستهدف مستخدمي المخدرات على نطاق محدود - من دون معالجة المشاكل البنيويّة التي تعزز إنتاج المخدرات وتوزيعها.<sup>40</sup> يُضعف هذا التنفيذ الانتقائي مصداقيّة حملات مكافحة المخدرات، وي طرح علامات استفهام حول دوافعها الحقيقيّة. إضافة إلى ذلك، قد يساهم الاعتماد على العنف بتصعيد النزاعات، حيث قد تؤدي عمليّات القتل المستهدفة إلى دوافع عنف انتقامي، ما يزيد من زعزعة استقرار المنطقة.<sup>41</sup>

### التدابير الخارجة عن نطاق القانون والغموض القانوني

يعكس استخدام تدابير خارجة عن نطاق القانون بأس المجتمعات المحليّة في معالجة أزمة المخدرات، ولكنه يطرح أيضاً مخاوف قانونيّة وأخلاقيّة خطيرة. تتجاوز التكتيكات، والتي تتراوح بين اعتقال غير مأذون بها وعمليّات قتل مستهدفة، الأطر القانونيّة، ما يؤدي إلى معاقبة الأفراد في غالبية الأحيان من دون اتباع الإجراءات الواجبة.<sup>42</sup> وردت تقارير عن حالات تبين فيها لاحقاً أنّ أشخاصاً استُهدفوا من قِبَل مجموعاتٍ مجتمعيّة كانوا من مستخدمي المخدرات وليس من المتجرّين، ما يسلط الضوء على مخاطر تطبيق العدالة من دون إشرافٍ مناسب.<sup>43</sup> قد لا تُشكّل مثل هذه الممارسات انتهاكاً لحقوق الإنسان

وخاصة أولئك الذين لديهم خلفيات عسكريّة، إلى الأسلحة وامتلاكهم المهارات لاستخدامها.<sup>30</sup>

في حين يبقى تعقّب هذه الحوادث صعباً لأسباب مختلفة، تشير التقارير إلى أنّ الاغتيالات المرتبطة بالمخدرات شائعة، فبحسب المصادر المفتوحة، قُتل ما بين 58 و 150 شخصاً عام 2023.<sup>31</sup> كما وأفادت تقارير عن مقتل ما لا يقلّ عن 39 شخصاً متهمين بالإتجار بالمخدرات بين كانون الثاني/يناير وتموز/يوليو 2024، مع 11 قتيلاً في شهر تموز/يوليو وحده.<sup>32</sup> مع ذلك، من غير المحتمل أن تكون جميع عمليّات القتل هذه مرتبطة بالجهود المجتمعيّة لمكافحة الإتجار بالمخدرات، ففي حين قد تتم بعض هذه الاغتيالات على أيدي سكان يسعون إلى معالجة مشكلة المخدرات، قد تُرتكب اغتيالات أخرى على يد شبكات مخدرات متنافسة.<sup>33</sup> يعمل الساعون إلى مكافحة المخدرات ضمن مجموعات منظّمة وقائمة على أساس جغرافي، ما يعزز قدرتهم على جمع المعلومات الاستخباراتيّة وتنفيذ عمليّات ذات أهداف محدّدة بمخاطر أقل.<sup>34</sup>

وتشير ملامح أولئك المستهدفين إلى تركيز على أفراد مرتبطين بكيانات مدعومة من الدولة، ولاسيّما أولئك المرتبطين بوكالات النظام الاستخباراتيّة ووحداته العسكريّة مثل المخابرات العسكريّة والفرقة الرابعة، بقيادة ماهر الأسد. وقد اتهمت كلا الوكالتين بتسهيل تهريب المخدرات في مختلف أرجاء الجنوب السوري، مع روابط تمتد لتصل إلى فاعلين خارجيين مثل ميليشيات مدعومة من إيران.<sup>35</sup> ومن بين أبرز القضايا اغتيال مصطفى المسالمة، قائد ميليشيويّ مرتبط بالمخابرات العسكريّة السوريّة، كان بين 11 شخصاً قرّضت عليهم المملكة المتّحدة والولايات المتّحدة عقوبات عام 2023 لتورّطهم في تجارة المخدرات.<sup>36</sup>

في السويداء، تُتبع عمليّات القتل المستهدفة، وإن كانت بوتيرة أقل، أنماطاً مماثلة.<sup>37</sup> في 6 آذار/مارس، قُتل مهاجمون مجهولي الهوية عوّاد الشونعر وأصابوا خالد الشونعر بجروح بالغة بالقرب من صلخد، وكان كلاهما يُعرفان بالإتجار بالمخدرات عبر الحدود. الجدير بالذكر أنّ خالد كان قد نجا من ضربة جوية أردنيّة سابقّة استهدفت منزله، ما يؤكّد كيف يشارك الفاعلون الإقليميون، والبلدان المجاورة، في جهود مكافحة المخدرات.<sup>38</sup>

على الرغم من مخاوف أخلاقيّة وقانونيّة بسبب طبيعة التدابير الخارجة عن نطاق القانون، تتواصل هذه العمليّات السريّة مدفوعةً باعتقادٍ مفاده أنّ مثل هذه التدابير أمر ضروري لمواجهة وتفكيك شبكات المخدرات القويّة التي تعمل نسبياً بلا حسيب أو رقيب في درعا والسويداء.

30 حايّد حايّد، «السكان المحليون يخوضون حريهم الخاصة ضدّ المخدرات في محافظة درعا السوريّة»، معهد الشرق الأوسط، 9 كانون الثاني/يناير 2024، <https://www.mei.edu/publications/locals-fight-their-own-war-drugs-syr-ias-daraa-province>.

31 المرجع نفسه.

32 درعا 24، «زيادة عدد القتلى بين المتهمين بالإتجار بالمخدرات في درعا»، 14 آب/أغسطس 2024، <https://dub.sh/eju7La4>.

33 مقابلة بحثية مع محلل سوري، السويداء، أيلول/سبتمبر 2024.

34 حايّد حايّد، «السكان المحليون يخوضون حريهم الخاصة ضدّ المخدرات في محافظة درعا السوريّة»، معهد الشرق الأوسط، 9 كانون الثاني/يناير 2024، <https://www.mei.edu/publications/locals-fight-their-own-war-drugs-syr-ias-daraa-province>.

35 المرجع نفسه.

36 المرجع نفسه.

37 مقابلة بحثية مع محلل سوري، السويداء، أيلول/سبتمبر 2024.

38 تلفزيون سوريا، «مقتل شخصية بارزة في الاتجار بالمخدرات على يد فصائل مسلحة في السويداء»، 6 آذار/مارس 2024، <https://dub.sh/e20hkb>.

39 مقابلة بحثية مع قائد مجتمعي، درعا، أيلول/سبتمبر 2024.

40 وليد النوفل، «المجتمع المحلي يكافح تجارة المخدرات جنوب سوريا»، سوريا على طول، 27 آذار/مارس 2024، <https://shorturl.at/d0wsB>.

41 حايّد حايّد، «السكان المحليون يخوضون حريهم الخاصة ضدّ المخدرات في محافظة درعا السوريّة»، معهد الشرق الأوسط، 9 كانون الثاني/يناير 2024، <https://www.mei.edu/publications/locals-fight-their-own-war-drugs-syr-ias-daraa-province>.

42 مقابلة بحثية مع عامل في المجتمع المدني السوري، درعا، تشرين الأول/أكتوبر 2024.

43 درعا 24، «المخدرات في الجنوب السوري: غياب الحلول وتفاقم التحديات»، 19 أيلول/سبتمبر 2024، <https://shorturl.at/LXbKb>.



هو معالجة الدوافع البنيوية الأوسع نطاقاً لاضطراب استخدام المخدرات. من دون هذه التدابير، قد تبقى المنطقة في دوامة من سوء استخدام المخدرات، والعنف، وانعدام الاستقرار، وهو أمر يتجاوز قدرات العمل المحلي وحده.

فحسب، بل إنها تولد بيئة متقلّبة، تبدو العدالة فيها عشوائيةً وعرضةً للانتهاك، ومن دون إشرافٍ قانوني، يمكن أن تؤدي هذه الإجراءات إلى اتهامات عارية عن الصحة وسوء استخدام للسلطة، ما يؤدي إلى تقويض ثقة المجتمع وإدامة العنف.

## الفشل في معالجة الدوافع البنيوية لإستخدام المخدرات

تتمثل إحدى أبرز أوجه محدودية الجهود المجتمعية في عدم قدرتها على معالجة الدوافع البنيوية الكامنة، والتي تغذي استخدام المخدرات والإتجار بها. فقد تدهور الوضع الاقتصادي في الجنوب السوري بشكلٍ حاد، مصحوباً بارتفاع نسبة البطالة، وندرة فرص العمل، وتفاقم الفقر، دفعت هذه الظروف العديد من الأشخاص، ولاسيما الشباب، إلى اللجوء إلى تجارة المخدرات كسبيل للاستمرارية.<sup>44</sup> بالإضافة إلى ذلك، شكّل النزاع، والذي طال أمده، عبئاً نفسياً كبيراً على السكان، ما دفع الكثيرين إلى مداواة أنفسهم بالمخدرات لتحمل مشاكل مثل الاكتئاب، والتوتر، واضطراب ما بعد الصدمة، يولد هذا المزيج من المشقات الاقتصادية وتحديات الصحة النفسية غير المعالجة أرضاً خصبة لاضطراب استخدام المخدرات، إلا أنّ هذه الأسباب الجذرية تبقى إلى حدّ كبير من دون حلّ. وبدلاً من مواجهة هذه المشاكل الأعمق، ركزت غالبية الجهود المجتمعية على الحد من إمدادات المخدرات، وهو أمر مهمّ، ولكن غير كافٍ لتحقيق نجاح على المدى الطويل.<sup>45</sup>

## خدمات إعادة تأهيل غير كافية

من بين أبرز أوجه المحدودية الأخرى هو نقص خدمات إعادة التأهيل الشاملة لأولئك الذين يعانون من اضطراب استخدام المخدرات. في حين أنشأت بعض المبادرات في درعا مراكز مؤقتة لتقديم الرعاية الأساسية، إلا أنّ عملها تعرقل بسبب نقص في الطاقم الطبي المدرب، ومنشآت غير ملائمة، ونقص في الموارد الأساسية مثل الأدوية والتمويل.<sup>46</sup> وتشير المصادر إلى أنّ العيادات المحلية لا تستطيع سوى توفير مسكنات لإدارة أعراض انسحاب المخدرات.<sup>47</sup> وهو حلّ قصير المدى لا يفعل سوى القليل لمعالجة الأسباب الكامنة لاضطراب استخدام المخدرات. علاوة على ذلك، يخشى العديد من أولئك الذين يعانون من اضطراب استخدام المخدرات طلب المساعدة بسبب مخاوف أمنية، حيث إنّ السفر إلى مراكز أكبر حجماً، مجرّده بشكلٍ أفضل في دمشق، قد يعرضهم إلى التوقيف أو التجنيد الإجباري عند حواجز الحكومة.<sup>48</sup> وبذلك، تتطلب إعادة التأهيل الفعالة أكثر من رعاية مؤقتة، فالدعم طويل المدى، بما في ذلك المشورة النفسية وبرامج إعادة الدمج الاجتماعي، أساسيّ لمساعدة الأفراد في التغلب على اضطراب استخدام المخدرات.

تتطلب معالجة أزمة المخدرات في الجنوب السوري مقاربةً متعدّدة الجوانب تتجاوز الحلول قصيرة الأمد. ويشمل هذا خلق فرص اقتصادية، وتحسين خدمات الصحة النفسية، وإنشاء أطر قانونية واضحة، والسبيل الوحيد لتحقيق تقدّم مستدام

44 مقابلة بحثية مع قائد مجتمعي سوري، درعا، أيلول/سبتمبر 2024.

45 مقابلة بحثية مع محلل سوري، السويداء، تشرين الأول/أكتوبر 2024.

46 راشد حوران، «مدمنو المخدرات أعداد متزايدة في درعا، وغياب مراكز العلاج»، تجمع أحرار حوران، 21 تشرين الثاني/نوفمبر 2023، <https://www.horanfree.com/archives/14544>.

47 مقابلة بحثية مع عامل في المجتمع المدني السوري، درعا، تشرين الأول/أكتوبر 2024.

48 درعا 24، «المخدرات في الجنوب السوري: غياب الحلول وتفاقم التحديات»، 19 أيلول/سبتمبر 2024، <https://shorturl.at/LXbKb>.

## توصيات سياساتية

### تعزيز جهود إعادة التأهيل

يجب دعم برامج إعادة التأهيل المعتمدة على المجتمع المحلي لضمان رعاية آمنة، ومتاحة، وفعالة لأولئك الذين يعانون من اضطراب استخدام المخدرات. لمعالجة النقص في الطاقم الطبي المتخصص، يمكن لتدريب العاملات والعاملين المحليين في مجال الرعاية الصحية على أساسيات معالجة اضطراب استخدام المخدرات وتقديم الاستشارات، أن يساعد على بناء القدرات، ولاسيما عندما يتم عن طريق شراكات مع منظمات صحية دولية. تشكل وحدات إعادة التأهيل المتنقلة حلاً مرناً، يمكن اعتماده على نطاق أوسع، يأتي بخدمات أساسية إلى مناطق بعيدة أو غير آمنة حيث الوصول إلى العلاج محدود.

### تعزيز التثقيف والوعي المجتمعيين

زيادة الوعي العام أمر أساسي لتغيير المواقف من استخدام المخدرات واضطراب استخدامها. يمكن للحملات التثقيفية لإطلاع المجتمعات المحلية على مخاطر استخدام المخدرات، وعلامات اضطراب استخدامها، والموارد المتاحة للعلاج. تؤدي ورش العمل، والندوات، والبرامج المدرسية دوراً حاسماً في تثقيف الشباب والشابات والبنات حول هذه المخاطر وتعزيز الصحة النفسية، كما ويعزز إشراك الشباب والشابات في حملات مكافحة المخدرات عبر مشاريع مجتمعية، مثل الفنون والرياضة، شعوراً بالهدف والانتماء، مما قد يقلل من احتمال استخدام المخدرات. لا تدعم هذه المبادرات رفاه الفرد فحسب، بل إنها تعزز أيضاً قدرة المجتمع المحلي على الصمود في وجه تحديات اضطراب استخدام المخدرات.

المجتمعات المحلية قادرة على أن تكون في الخطوط الأمامية لمكافحة الإبحار بالمخدرات، ولكنها تحتاج إلى الأدوات والموارد والدعم المناسبين لتحقيق النجاح. من خلال مقارنة منسقة ومتعددة الأوجه، يمكن لهذه المجتمعات أن تشق الطريق نحو حلول مستدامة تعالج الأسباب الجذرية لأزمة المخدرات، وتبني في نهاية المطاف مستقبلاً أكثر أماناً، وصحةً، ومرونةً للجميع.

أظهرت الجهود التي يقودها المجتمع المحلي في الجنوب السوري مرونة ملحوظة والتزاماً بمكافحة الإبحار بالمخدرات واضطراب استخدامها. ولكن، لكي تكون هذه المبادرات حقاً فعالة ومستدامة، عليها ألا تكتفي بالتعطيل الفوري لسلاسل إمداد المخدرات. يتطلب تحقيق نجاح يدوم مقارنةً شاملةً تعالج العوامل القانونية، والاقتصادية، والنفسية، والبنوية الكامنة التي تعزز استخدام المخدرات والإبحار بها. تهدف التوصيات السياسية التالية إلى تعزيز هذه الإجراءات الأهلية عبر معالجة أوجه محدوديتها الحالية والتخفيف من المخاطر المرافقة لها.

### إنشاء أطر قانونية

إن استحداث إطار قانوني أمر مهم للغاية لضمان كل من مشروعية وفعالية تدابير مكافحة المخدرات. فعبر إضفاء طابع رسمي على الشرطة المجتمعية من خلال ولايات محددة بوضوح، بإمكان السلطات المحلية تعزيز الأمن والحد من أنشطة المخدرات من دون اللجوء إلى إجراءات عنيفة أو خارجة عن نطاق القانون. كذلك، يمكن لاعتماد ممارسات العدالة التصالحية، مثل الخدمة المجتمعية وإعادة التأهيل للجرائم البسيطة، أن يسهل إعادة الإدماج وأن يساعد على كسر دواتمة العنف. فيجب إنشاء هيئات إشرافية مستقلة للحفاظ على الشفافية، والالتزام بالمعايير الأخلاقية، وضمان المساءلة في مبادرات مكافحة المخدرات.

### تعزيز مبادرات التنمية الاقتصادية

إن تحسين الاقتصادات المحلية أمر حيوي للتخفيف من جاذبية الأنشطة المرتبطة بالمخدرات، ولاسيما في صفوف الشباب. على المنظمات الدولية والمانحين التركيز على خلق فرص عمل مستدامة ودعم برامج تطوير المهارات للمساعدة على إعادة دمج مستخدمي المخدرات والتجار السابقين في القوى العاملة. وبإمكان مبادرات التمويل الصغير تشجيع ريادة الأعمال المحلية، وتحريك عجلة النمو الاقتصادي، والتقليل من حوافز الانخراط في تجارة المخدرات. عبر تقديم بدائل قابلة للتطبيق، يمكن لهذه الجهود الاقتصادية إضعاف تأثير اقتصاد المخدرات وتجديد أمل المجتمعات المحلية التي تعاني تحت تأثيرها.

### تحسين خدمات الصحة النفسية

تتطلب معالجة الدوافع النفسية لاضطراب استخدام المخدرات وصولية أوسع لرعاية محترفة لخدمات الصحة النفسية. التدخل المبكر والبيئة الداعمة أمران بالغ الأهمية لمن يطلبون المساعدة، وقد يساهم تمكين أعضاء المجتمع المحلي من تقديم الدعم الأولي أن يبني شبكة أمان أقوى. يجب أن تتلقى العاملات والعاملون في مجال الرعاية الصحية، والمعلمات والمعلمون، وشخصيات بارزة أخرى تدريباً أساسياً للتعرف إلى علامات اضطراب استخدام المخدرات ومشاكل الصحة النفسية، ما يتيح استجابات أكثر فعالية وتعاطفاً. كما ويمكن لمجموعات الدعم التي يقودها الأنداد والتي يُبشرها أعضاء مدربون من المجتمع المحلي، أن تشكل أيضاً طريقة فعالة من حيث التكلفة لتقديم دعم عاطفي، ومشاركة الموارد، وتعزيز الشعور بالانتماء.

